لفظ (الرّضا) في آيات القرآن الكريم

The word "Satisfaction/Arridha" in the Holy Quran

أ. د. عبد الغاني بن شعبان♥

تاريخ الاستلام: 19-01-2024 تاريخ القبــول: 11-02-2024

ملخّص: هدفت هذه الدّراسة إلى رصد أهم السّياقات التي ظهر فيها لفظ الرّضا، من خلال صيغه المختلفة سواء أكانت أسماء أم أفعالا، مع محاولة معرفة آراء المفسّرين عند تأويلهم لمختلف الآيات. ولذلك جاء منهجها إحصائيّا، انطلاقا من جمع كلّ الآيات التي جاء فيها هذا اللّفظ، مع الرّجوع إلى كتب التّفسير وعلوم القرآن وعلوم اللّغة لتحليل مختلف دلالاتها، حيث جاءت متعدّدة ومختلفة باختلاف السّياقات التي وردت فيها وباختلاف الصّيغ التي جاءت عليها.

كلمات مفتاحيّة: دراسات؛ لغة؛ الرّضا؛ قرآن؛ تفسير.

♥جامعة قسنطينة1، قسم التّرجمة كليّة الآداب واللّغات، الجزائر، البريد الإلكتروني: benchabane.abdelghani@umc.edu.dz(المؤلّف المرسل).

Abstract: This study aims to monitor the most important contexts in which the word (satisfaction/Arridha) has emerged, through its various formulas, whether it be names or verbs, while trying to find out the interpreters' opinions when interpreting the various verses.

Keywords: Studies; Language; Satisfaction/ Arridha; Quran; Interpretation.

مقدّمة: الحمد لله الذي جعل رضاه لمن صدّق من عباده بكتبه ورسالاته والحمد له على أن جعلنا راضين بنعمه. والسّلام على من كان حاملاً لتلك الرّسالة المبشّرة بالرّضا من رسل وأنبياء، وعلى سيّدنا محمّد خاتما لهم فعليه الصّلاة وأزكى التّسليم. أمّا بعد.

من أجمل ما قيل في موضوع الرّضا، ذلك الوصف الذي قدّمه صاحب كتاب **الدّاء والدّواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدّواء الشّافي** حيث يستشهد بذلك الحديث الذي أخذه عن سنن أبن ماجه من حديث أبي هريرة عن رسول الله أنّه قال "من لم يسأل الله غضب عليه"[1] ليعقّب على أنّ رضا الله يتمثّل في سؤاله وطاعته، فكلّ خير في رضاه، كما أنّ كلّ بلاء ومصيبة في غضبه. ثمّ يستشهد مرّة أخرى بقول للإمام أحمد من كتاب الزّهد مأخوذ من الأثر "أنا الله، لا إله إلاّ أنا، إذا رضيت باركت، وليس لبركتي منتهى، وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السّابع من الولد".

ويواصل صاحب الكتاب قوله بأنّ العقل والنّقل والفطر وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها قد دلّت على أنّ التّقرّب إلى ربّ العالمين وطلب مرضاته، والبرّ والإحسان إلى خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكلّ خير وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكلّ شرّ. فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل طاعته والتّقرّب إليه، والإحسان إلى خلقه.[2]

ومن هذا المنطلق جاءت رغبة هذه الدّراسة في التّحرّي عن كلمة (الرّضا) بتصريفها المختلف وفي سياقاتها المتعدّدة من خلال آيات القرآن الكريم والطّرح الأوّل الذي يمكن القول به هو تلك العلاقة الحتميّة بين الرّضا ونقيضه الغضب أو السّخط مثلما أشير إليه في معاجم اللّغة، فكيف تتحدّد تلك العلاقة؟ وكيف كانت السّياقات المختلفة التي جاء بها وصف الرّضا وعلاقته مع الغضب؟ وما هي الحالات العامّة التي يرتبط بها لفظ الرّضا بما يقابله من جزاء؟

وللإجابة عن تساؤلات هذه الدّراسة، جاء الاعتماد على إحصاء مختلف الآيات التي ورد فيها لفظ (الرّضا) ثمّ تحليلها للخروج بملامحها. وستعمل هذه الدّراسة في تحليلها على الرّجوع إلى مختلف كتب تفسير القرآن الكريم وعلومه وعلى بعض كتب الزّهد والرّقائق التي ناقشت هذا الموضوع من قبل وهي كثيرة.

الملاحظة الأولى التي يمكن إبداؤها بعد عمليّة إحصاء الآيات والتي سيتمّ تفصيلها مع سير هذه الدّراسة، تشير إلى أنّ كلمة "الرّضا" جاءت على الاسميّة والفعليّة، وجاءت على صيغ صرفيّة مختلفة، وفي ذلك دلائل سيتم التّطرّق إليها مع سيرورة هذه الدّراسة، وبذلك سيتمّ تقسيم محاور الدّراسة على هذا المعطى.

ومع بداية الإحصاء يمكن الإشارة مبدئيا إلى الرّضا إذا تعلّق بالبشر فهو سمة لسلوك فطري طبيعيّ يتّصف به كلّ من كان معتدلا في تقبّله لما تفرضه عليه معطيات وظروف هذه الحياة الدّنيا ولما قُدِّرَ له. وهذا اللّفظ بحسب ما جاء في معجم مقاييس اللّغة وبأصله الواحد الذي يعود إلى الجذر الثّلاثي المتكوّن من الأصوات الثّلاثة الرّاء والضّاد والحرف المعتلّ كلمة تحمل في طيّاتها معنى مخالفا للسُّخط ويقال إنّ أصله الواو لأنّه يقال منه رضوان.[3]

<u>رَضِيَ في القرآن الكريم والضّمير (هو) يعود على (الله)</u>: البداية ستكون مع الفعل (رَضِيَ) عندما يرتبط بالآيات التي يكون فيها فعل الرّضا صادرا من اللّه

سبحانه وتعالى وموجّه إلى عباده، لكن من هي هذه الفئة من عباد الله التي سيخصّها برضاه؟ وماهي ملامحها؟ وما المطلوب منها ليرضى الله عليها؟

والآيات التي يظهر فيها لفظ (رَضِيَ) من هذا الباب في مجمل القرآن الكريم هي: (المجادلة22)، (البيّنة8)، (الفتح18)، (التّوبة100)، (طه109) و(المائدة119).

ويمكن إجمال آيات هذا الباب في الجدول الآتي:

<table dir="rtl">
<tr><td colspan="2">يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَ</td><td rowspan="8">رَضِيَ اللَّهُ</td><td colspan="2">لَهُ قَوْلًا</td></tr>
<tr><td colspan="2">لَّقَدْ</td><td colspan="2">عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا</td></tr>
<tr><td>لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ</td><td>تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا</td><td rowspan="4">عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ</td><td>أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ</td></tr>
<tr><td>جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ</td><td>تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا</td><td>ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ</td></tr>
<tr><td>قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ</td><td>ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ</td></tr>
<tr><td colspan="2">وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ</td><td>وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ</td></tr>
</table>

وبتحليل الجدول أعلاه يُلاحظ بأنّ العامل المشترك بين الآيات السّتّ هو التّركيب (رَضِيَ اللَّهُ)، ثمّ يأتي انحصار العوامل المشتركة، فالآيتان في أعلى الجدول لا تشتركان مع باقي الآيات في معطى (عَنهْمُ وَرَضُوا عَنْهُ) والآية الثّانيّة حسب الجدول تشترك مع باقي الآيات في الحرف (عن) حيث جاء فيها مركّبا مع (الْمُؤْمِنِينَ) بينما في باقي الآيات ركّب مع الضّمير (هُم) وهو ضمير يعود على الجمع وذلك الجمع مفصّل في بداية الآيات المعنيّة وهو يشير في عمومه إلى المؤمنين الصّادقين الذين يعملون الصّالحات.

أمّا بالنّسبة للاية الأولى فمن بين الملاحظات التي يمكن إبداؤها مع التّمعّن في الآية هي كون فعل (رَضِيَ) مرتبط بشكل مباشر بـ(الشّفاعة) والتي تحمل في دلالتّها بحسب أهل اللّغة[4] معنى مقارنة الشّيئين فالمرء بذلك يشفع لآخر إِذَا جَاءَ ثَانِيَهُ مُلْتَمِسًا مَطْلَبَهُ وَمُعِينًا لَهُ. والتّركيب يزاوج بين النّفي والاستثناء ومفتاح الآية هو (من) على من تعود، حيث تحتمل الرّفع وتحتمل النّصب؛ أي تحتمل الفاعليّة وتحتمل المفعوليّة بمعنى من قام بالفعل ومن وقع عليه الفعل. فإذا كانت لمن قام بالفعل فتحتمل البدل على قراءة (لَا تَنْفَعُ الشّفَاعَةُ إِلَّا شَفَاعَةُ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ)، على أساس أنّ درجة الشّافع درجة عظيمة فهي لا تحصل إلاّ لمن أذن الله له ورضي له قولا. أمّا النّصب فعلى قراءة (لَا تَنْفَعُ الشّفَاعَةُ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا شَخْصًا مَرْضِيًّا).[5] فمن يصدر منه فعل الشّفاعة هو الله سبحانه وتعالى وتقع على شخص رضى الله عليه. أمّا الحالة الأولى فهي أن يشفع شخص لشخص آخر على أن يكون الرّضا على الشّخص الأوّل.

وفي الآية الثّانيّة فمكمن اختلافها عن الآيات الأخرى هي حديثها عن أمور دنيويّة فالرّضا هو دنيوي ومرتبط بالمبايعة ولذلك ففعل (رَضِيَ) جاء في الماضي ويتحدّث عن أمور وقعت في الماضي بالْحُدَيْبِيّة حيث تمّت المبايعة بين الرّسول عليه الصّلاة والسّلام تحت الشّجرة بعد خبر مقتل عثمان بن

عفّان، مبايعة عَلَى أَنْ يُنَاجِزُوا قُرَيْشًا وَلَا يَفِرُّوا. ليأتي بعدها التّفصيل فيما سيناله من بايع في الآخرة على لسان رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قَالَ: لا يَدْخُلُ النّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشّجَرَةِ.[6]

أمّا الآيات المتبقيّات فتشترك في فعل الرّضا المتبادل بين الله سبحانه وتعالى والمؤمنين، فـ(رضا) المؤمنين في دنياهم، أمّا رضا الله وبالرّغم من صياغته في الماضي، فيختصّ بأمور الآخرة ويتمثّل بحسب الآيات في جنّات عدن التي تجري من تحتها الأنهار حيث سيخلدون فيها وذلك هو فوزهم العظيم.

<u>مرضات في القرآن الكريم</u>: اللّفظ الثّاني هو (مَرْضَات) الذي جاء بالاسميّة والآيات التي ورد فيها هذا اللّفظ مثلما جاءت حسب تتابع سور القرآن الكريم هي: (البقرة 207)، (البقرة 265)، (النّساء114)، (الممتحنة1) و(التّحريم1)

ويمكن تفصيل بنيّة هذه الآيات انطلاقا من كلمتها المفتاح (مرضات) من خلال الجدول الآتي:

وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ					**وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**
وَمَثَلُ الذينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ					**وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**
لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ	**ابْتِغَاءَ**		**مَرْضَاتِ**	**اللَّهِ**	**فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**
يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ				**ي**	**تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا**

وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۚ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَ				أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ	تَبْتَغِي		مَرْضَاتَ	أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

ما يمكن قوله تعليقا على ضوء هذا الجدول الذي فيه حصر وتحليل لكلمة (مَرْضَات) في القرآن الكريم هو صيغتها الصّرفيّة التي جاءت على وزن (مَفْعَلَة) بناء على القول بأنّ أصل كلمة (مَرْضات) هو (مَرْضَوة) فلمّا تحرّكت الواو وانفتح ما قبلها، انقلبت ألفا فصارت (مرضات).[7] وهي صيغة تطلق على اسم المكان قياسا على كلمات أخرى في اللّغة العربيّة أي يمكن دلالتّها على مكان الرّضا. بالرّغم من كون الكلمة في ملامحها توحي بصفة الرّضا. أمّا عن حالتّها الإعرابيّة فجاءت بالكسرة في حالات أربع وهي المصنّفة في أعلى الجدول، وسبب هذه الحال هو وقوعها مضافة إلى كلمة (ابتغاءَ) التي جاءت بالاسميّة وفي ذلك إشارة إلى دوام الحال وثباتها، وهذه الحال تدلُّ بحسب سياق الآيات التي وجدت بها إلى الدّافع أو سبب المنع أو القيام بذلك السّلوك أو نظيره. أمّا الجزء السّفلي من الجدول فكلمة (مرضاتَ) جاءت منصوبة وذلك بالفتحة نظرا لموقعها في الجملة حيث وقع عليها الفعل المضارع الدّال على التّغيّر وعدم الاستقرار على حال دائمة (تَبتَغِي) الذي يسبقها، أضيف إليها كلمة (أزواجك)، فالمرضات مرتبطة تركيبا بأزواج الرّسول عليه الصّلاة والسّلام. وفي ذلك يرى بعض المفسّرين بأنّ الاتّصاف بالمضارعة غرضه الحاليّة أو حالٌ خرجت مخرج المضارع بمعنى (مُبتَغِيًا). وبحسب سياق الآية هو خطاب ***لوم وعتاب وتنبيه***[8] من الله سبحانه وتعالى لنبيّه عليه الصّلاة

والسّلام في تحريمه ما أحلّ الله له بحثا عن (مرضات) أزواجه وليس (مرضات) الله.

ومن بين التّساؤلات التي يمكن أن تفرض نفسها عند قراءة لفظ (مرضات) هو كتابته في آخره بتاء مفتوحة، وهذا ما دفع بعديد المشتغلين بعلم القراءات إلى محاولة إعطاء تفسير لسبب كتابة هذا اللّفظ بهذا الشّكل، فرأى بعضهم بأنّ هذا الامر ثابت عند العرب في الوقف على الاسم المفرد وذلك ما لوحظ في لغة *طي* حيث يقولون في الوقف (هذه امرأت) و(طلحت) و(قائمت). والسّبب برأيهم في الشّذوذ عن القاعدة يرجع إلى سببين أحدهما مخالفة الخطّ، وثانيهما كون المَعْنَى يستدعي الاتّصال بما بعده. وكلمة (مرضات) تصنّف مع القسم الذي يشمل الكلمات المتّفق على قراءتها بالإفراد وهو مكتوب بالتّاء الممدودة وجملته في القرآن الكريم تسع عشرة لفظة تكرّر بعضها دون بعض وهي مدوّنة عند المشتغلين بالقراءات.[9]

أمّا الجزء العلوي من الجدول فالملاحظ عليه كذلك هو وجود آيات ثلاث ترتبط فيها كلمة (مَرْضَاتِ) بكلمة (الله) أمّا الآية الرّابعة ف(مرضات) مرتبطة بضمير متّصل (ي) يعود على المتكلّم (أنا) ويعود على (الله). والآيات الثّلاث الأولى والتي جاءت بطابع وصف حال ما ومحورها هو تزكيّة النّفس بأن يشري الإنسان نفسه بالإنفاق أو بالصّدقة أو بالمعروف أو بالإصلاح بين النّاس والغاية من ذلك كلّه (ابتغاء مرضاتِ اللهِ) ومآلاتها فيها حديث عن رأفة الله بعباده وما يلحق ذلك من أجر ونعم. أمّا الآية الرّابعة فجاءت بطابع النّداء المقترن بالنّهي والمخَاطِبُ هو الله سبحانه وتعالى بشكل مباشر ولذلك جاء التّركيب بضمير المتكلّم (ي). والغرض من ذلك، توجيه المخاطَبِين، وهم الذين أمنوا، بالابتعاد عن الشّرّ والتّوجّه إلى الخير، ولذلك جاء مخرج الآية، بالوعيد لمن اتّبع طريق الشّرّ.

رضوانٌ في القرآن الكريم: الحالة التي يدرسها ويعمل على تحليلها هذا المبحث هي بناء الرّضا على صيغة (رضوان) والتي جاءت على الرّفع والنّصب والخفض وستعمل هذه الدّراسة على تتبع الحالات الإعرابيّة المذكورة. والبداية ستكون مع الرّفع (رِضوانٌ) على وزن (فِعْلاَنٌ) في حالة رفعٍ نظرًا لموقعها في الجملة ودورها حيث جاءت لمعنى الإخبار فوقعت *خبرًا* في آيات ثلاث من القرآن الكريم كالآتي: (الحديد20)، (التّوبة72) و(آل عمران15)

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ		**مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**
اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ	**وَرِضْوَانٌ**	**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**
قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ		**مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**

في هذا الجدول الخاص بالآيات التي جاءت فيها كلمة ***"رِضوانٌ"*** بالضّمّة في آخر الكلمة على وزن (فِعْلاَنٌ) معطيات عدّة.

المعطى الأوّل هو دلالة الصّيغة الصّرفيّة حيث أنّ الكلمة تحتمل قراءتين بكسر الرّاء وبضمّها (رِضوان ورُضوان)، فبالكسر قياسا على حِرمان وقِربان وبالضّمّ قياسا على طُغيان ورُجحان وشُكران.[10] وبحسب هذه الكلمات المُقاس عليها فالصّيغة الصّرفيّة تدلّ على المصدريّة أي مصدر الرّضَا.

المعطى الثّاني يرتبط بوزن الكلمة، حيث جاءت على صيغة (فَعلان) على المصدريّة من خلال عمليّة التّصريف، وفي ذلك دلالة على أنّ الكلام موجّه ومرتبط بوصف منبع الرّضا أو مصدره الدّائم الذي لا ينضب وهو بطبيعة الحال ذلك المنبع الإلهيّ الذي جعل بعض أهل علم الكلام يرون فيه تعلّقه بالثّواب الذي بتقسم بين المنفعة والتّعظيم الذي يراد به الرّضوان الذي يصيب أهل الجنّة. أمّا أهل الحكمة فرأيهم قائل بأنّ كلمة (جنّات) يراد بها الجنّة الجسمانيّة أمّا (الرّضوان) فيشير إلى الجنّة الرّوحانيّة وهي التي تمثّل أعلى المقامات.[11]

الملاحظة الثّانيّة هي سبب الرّفع في آخر كلمة (رِضْوانٌ) الذي رأى فيه أهل اللّغة والمفسّرون احتماليّة قراءته على الكسر مثل كلمة (جنّات) على البدل من (خيرٍ) على الرّدّه. وسبب الرّفع في هذه الحالة هو وقوعها موقع الإخبار فمحور الآيات يرتبط بشكل مباشر بطبيعة الجزاء، حيث يبدو فيه التّساؤل الرّئيس ما هو الجزاء؟ فتأتي الإجابة: الجزاءُ رِضوانٌ لمن اتقى. محمولا على المبتدأ والخبر.

وبتفصيل الجدول يلاحظ بأنّ الآيات الثّلاث، فيها وصف لحالين هما حال الدّنيا وما يقابله من جزاء في الآخرة، وفي ذلك عقد لمقارنة بينهما. فالقرآن بهذه الآيات يخبرنا بأنّ الحياة الدّنيا هي لعب ولهو وتفاخر بين النّاس في الأموال والأولاد، وفيها تزيين للناس بحبّ الشّهوات من النّساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام مثلما جاء في الآية 14 من سورة آل عمران، ليمثّل لهذه الحال بالغيث الذي يعجب الكفّار، وليؤكّد على أنّ الحياة الدّنيا هي متاع الغرور، وهي حياة غير دائمة بل زائلة، ويتوعّد بالعذاب الشّديد الذي قد تأتي المغفرة والرّضوان معه، ليقدّم بعدها في الآية التي بعدها البديل وهو التّقوى التي ينال من خلالها الإنسان الرّضوان بخلوده في الجنّة مع

مخرج الأزواج المطهّرة في الآية الأولى حسب الجدول وبالمساكن الطّيّبة، مع التّركيز على مفهوم الزّواج والمسكن وهي من هموم الإنسان في هذه الدّنيا التي يمكن أن يشقى لأجلها طول حياته وقد لا يصيبها. فالله بصير بعباده في الآية الثّانيّة وآخرها الفوز العظيم.

اتّباع رِضوانَ الله: ثمّ تواصل الدّراسة إحصائها وتحليلها مع اللّفظ سالف الذّكر وهو (رِضوانَ) لكن هذه المرّة جاءت الكلمة منصوبة الآخر في ثلاث آيات هي كالآتي: (آل عمران162)، (آل عمران174) و(المائدة16)

فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ و	**اتَّبعُوا**	**رِضْوَانَ**	**اللَّهِ**	**وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**
أَفَمَنِ				**كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ	**اتَّبَعَ**		**هُ**	**سُبُلَ السّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظّلُمَاتِ إِلَى النّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**

وبمناقشة هذا الجدول تتّضح مجموعة من المعطيات:

المعطى الأوّل يتعلّق بالحالة الاعرابيّة التي جاء عليها لفظ (رِضْوَانَ)، حيث جاء منصوب الآخر عكس الآيات السّابقة التي جاء فيها اللّفظ (رِضْوَان) مرفوع الآخر وسبب حالة النّصب هذه راجع إلى كون اللّفظ وقع عليه الفعل أي جاء على المفعوليّة فقد وقع عليها فعل (الاتّباع) الذي جاء في الماضي وصُرِّف مع الجمع في حالة والمفرد في حالتين وكان مقترنا بشكل مباشر مع اللّفظ (رِضْوَانَ). فمثلما كانت في الآيات الأولى مرفوعة والرّفع دالّ على القوّة فجاءت على الإخبار بالجزاء، أمّا حال النّصب التي دلّت على وقوع الفعل عليها فدلالتّها رحلة بحث الإنسان، والدّليل ارتباط رحلة البحث تلك بكلمة

(اتّبع)، وتفسير ذلك هي بحث الإنسان عن مصدر الرّضا في حالة هروب ومقارنة بين حالين، حال ظلمات فيها سوء وسخط المأوى الجهنّمي والمصير البائس، وحال نور فيها نعمة وفضل وهدى وسلام فصراط مستقيم. والحال العام الموصوفة هي لأمور دنيويّة يعيشها الإنسان حيث وضع بين خيارين إمّا استقامة أو اعوجاج.

<u>رضواناً في القرآن الكريم</u>: الآيات المسجّلة في هذا الجزء هي التي جاء فيها الرّضا على صيغة (رِضْوَانًا) وهي حالة نصب كذلك مشابهة للحال السّابقة والفرق بينهما التّنوين وجاء ذلك في آيات ثلاث هي: (المائدة2)، (الفتح29) و(الحشر8).

ويمكن إجمال الآيات السّابقة في الجدول الآتي:

يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلاَ الشّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلاَئِدَ وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ	**يَبْتَغُونَ فَضْلًا**	**رَّبِّهِمْ**	**وَرِضْوَانًا**	**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**
مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالذينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا	**مِّن**	**اللَّهِ**		**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم**

				مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا
لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الذينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ				وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ

وبتحليل هذا الجدول يلاحظ بأنّ كلمة (رِضواناً) حافظت على صيغتها الصّرفيّة الدّالة على المصدريّة وهي حسب سياق الآيات معطوفة على كلمة (فضلا) مع حفاظها كذلك على النّصب في آخرها كذلك والذي يدلّ على وقوع الفعل عليها أو المفعوليّة. والمعطى الجديد في هذه الآيات هي التّنوين بالنّصب في آخر الكلمة والذي يحتمل مبدئيّا ***الاطلاق*** لا على التّقييد عكس الحالة السّابقة التي جاءت مقيّدة بالإضافة. كما أنّ حالات النّصب التي ذكرت من قبل كانت مقترنة بفعل الاتّباع جمعا ومفردا والفعل كان معبّرا عن الزّمن الماضي، أمّا في هده الآيات فهو مقترن بفعل الابتغاء (يبتغون) والذي جاء تصريفه في المضارعة أي الابتغاء في الحال والاستقبال، وفعل الابتغاء هذا يحمل في طيّاته ملامح الرّجاء لدى الإنسان وتمنّيه الفضل من اللّه والرّضا وذلك بعد احترامه للشرائع الإلهيّة وصبره على تنفيذها بالرّغم ممّا لاقاه من مصاعب في احترامه لذلك.

إذن يمكن القول بأنّ الفرق بين النّصب في الحالة الأولى والنّصب المنوّن في الحالة الثّانيّة هو الإطلاق الذي مآله الحاضر والاستقبال، والتّقييد في ارتباطه بالماضي وكلا الحاتين لهما ارتباط بالرّجاء والأمل.

رِضوانٍ في القرآن الكريم: الحالة الأخيرة في باب البناء على المصدريّة هي الخفض حيث جاءت كلمة (رِضْوانِ) بكسرة في آخرها وفي ذلك تعبير عن التّبعيّة والجرّ مع محافظة دلالة الصّيغة على المصدر أي مصدر الرّضا وكان

ذلك في آيات ثلاث آيتان بالتّنوين اية دون ذلك وهي كالآتي: (التّوبة21) (التّوبة109) و(الحديد27).

ويمكن إجمال هذه الآيات في الجدول الآتي:

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ	**وَرِضْوَانٍ**	**وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ**
أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ		**خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي**
ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الذينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيّة ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ	**رِضْوَانِ**	**اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الذينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فاسقون**

ودائما تعليقا على هذا الجدول فهو تقريبا مشابه للحالات السّابقة التي جاء فيه (رِضْوَان) على صيغة المصدريّة لكن الاختلاف في الحركة الاعرابيّة التي جاءت بالخفض أو بالجرّ وهو ما يلاحظ في الجدول فـ(رِضوانٍ) جات على هذه الحال كونها تابعة لحرفي الجرّ (بـ/على). أمّا الثّالثّة فهي مضافة إلى (ابتغاء) والقول نفسه الذي قيل في الحالات السّابقة وهي رحلة بحث الإنسان عن مصدر الرّضا بتوجيه من الله سبحانه وتعالى في تخيير المرء بين حياة الخير وجنّاة النّعيم وحياة الشّقاء.

<u>رَضُوا في القرآن الكريم</u>: بعد الحديث عن حالات الرّضا التي جاءت على الاسميّة تعاود الدّراسة حصر وتحليل الحالات التي جاءت على الفعليّة والبداية تكون مع (رَضَوا) التي جاءت في خمس آيات من القرآن الكريم هي كالآتي: (التّوبة58)، (التّوبة59)، (التّوبة87)، (التّوبة93) و(يونس7)

هذه الآيات يمكن إجمالها في الجدول الآتي:

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا		وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ	
إِنَّ الذينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَ		بِالْحَيَاةِ الدّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالذينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ	
	رَضُوا	بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ	لَا يَفْقَهُونَ
إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الذينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ		بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ	لاَ يَعْلَمُونَ
وَلَوْ أَنَّهُمْ		مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ	

الملاحظ على هذا الجدول، هو إخراجه للعامل المشترك بين هذه الآيات حيث كان الفعل الماضي (رَضَوا)، وفيه حديث عن حالة رضا بالجمع قد تكون حدثت فيما مضى من الزّمن (رَضَوا) وواو الجمع التي في الفعل تعود على حالات للنّاس والحالة الأولى هي اللّمز في الصّدقات حيث ترى بعض كتب التّفسير[12] بأنّ الامر في هذه الحال يتعلّق بمن يعيب النّاس في إعطاء الصّدقات. وقد كان لصاحب معجم العين[13] رأي في ذلك حيث يساوي بين اللّمز والغمز ويتمّ ذلك عن طريق الفم بكلام خفيّ ومن ذلك هذه الآية المرتبطة بالصّدقات أي يحرّك شفتيه بالطّلب ومن ثمّة القول رجلٌ لمزة بمعنى يعيبك في وجهك لا من خلفك بخلاف رجلٌ لُمزة وهو الذي يعيبك من خلفك. وفي ذلك وصف لحال شخص به حاجة للمال.

أمّا الحالة الثّانيّة فترتبط بأصحاب المال الذين وصفهم بـ(أولوا الطّول) في الآية 86 من التّوبة وبالأغنياء في الآية 93 من التّوبة، الذين تخلّفوا عن

الجهاد مع رسول عليه الصّلاة والسّلام. وفي ذلك وصف لحالين متناقضين بين من لا يملك مالا وبين من يملك.

والإطار العام للآيات هو الحديث عن الغفلة وعن عدم العلم وعن عدم الفقه وعن السّخط الذي ظهر من تلك الحالتين الموصوفتين بعد أن كذّبوا بأوامر الله سبحانه وتعالى. ثمّ يقارن كلّ هذه الصّفات مع الصّورة الموجودة في الآية التي تبتدئ بالشّرط (لو) حيث باتّباع ذلك الشّرط سينالون من فضل الله وإليه الرّجوع.

ترضى في القرآن الكريم (أنت/أنتم): كما ذكر لفظ الرّضا في آيات أخرى في القرآن الكريم بصيغة الفعل، وفي هذا المبحث رصد للفظ على صيغة (تَرْضَ). وذلك في تسع آيات هي: (البقرة120)، (البقرة144)، (النّمل19) (التّوبة24)، (التّوبة96)، (طه84)، (طه130)، (الأحقاف15) و(الضّحى5)

وتفصيل هذه الآيات في هذا الجدول الآتي:

وَلَن		**ىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الذي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَ		
قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِ	**تَرْضَ**	
فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ		**ىٰ**
قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ		**اهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا**

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً		كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الذينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ
قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ		وْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِ		وْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا		اهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصّالِحِينَ
وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا		اهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

وبتحليل الجدول، يُلاحَظُ إخراج الجدول للعامل المشترك بين الآيات، حيث جاء في وسطه وهو اللّفظ (تَرْضَ). وهو فعل بني على المضارعة في تصريف مع المخاطب للمفرد والجمع (أنت/أنتم).

ففي خطاب المفرد توجد آيتان جاءتا في آخر الجدول ارتبط فيها فعل (ترض) بالله سبحانه وتعالى وفيها دعاء بقبول العمل والصّالح والرّضا عنه.

أمّا باقي الآيات فلها ارتباط بالبشر وتصف حالات مختلفة لسلوكهم.

يرضى في القرآن الكريم (هو/هم): والآيات التي سيدرسها هذا الجزء من الدّراسة هي تلك التي تتعلّق بفعل الرّضا في تصريفه مع ضميري الغائب أو الثّالثّ في عمليّة الخطاب (هو/هم) بالمفرد والجمع وزمن الخطاب هو الحاضر (يرض)، وظهر ذلك في آيات ستّ من القرآن الكريم هي كالآتي: (الزّمر7) (الليل21)، (الحج59)، (الأنعام113) و(التّوبة62)

ويمكن إجمال الآيات السّابقة في هذا الجدول:

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا		**ىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**
وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَ	**يَرْضَ**	**ىٰ**
وَلَسَوْفَ		**ىٰ**
لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا		**وْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ**
وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الذينَ لَا يُؤْمِنُونَ الْآخِرَةِ وَلِ		**وْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ**
يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِ	**يُرْضُوكُمْ**	**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ**

العيشة الرّاضيّة: وآخر المقال في هذا المقام هو ذلك الوصف الجمالي وتلك البلاغة العاليّة في استعمال لفظ الرّضا، حيث بني اللّفظ على الفاعليّة

(رَاضِيّة) في أربع آيات الأولى في سورة (الحاقة21) وتشير إلى الذي أوتي كتابه بيمينه، والثّانيّة في سورة (القارعة7) وتتحدّث عمّن ثقلت موازينه، والثّالثة من سورة (الغاشيّة9) وهي في وصف الوجوه النّاعمة أمّا الآية الأخيرة ففي سورة (الفجر28) وفيها حديث عن النّفوس المطمئنّة حالها وزمانها.

والملاحظة التي يمكن إبداؤها بعد التّأمّل في هذه الآيات هي كون لفظ (راضيّة) المبني على وزن (فاعلة) وهي صيغة تطلق على اسم الفاعل وهي بين صدر منه الفعل والذي قام به، وقد اتّخذ اللفظ في هذه الآيات الحركات الثّلاث بين الخفض والرّفع والفتح، وذلك حسب موقعه في الجملة فقد وقع صفة لاسم مجرور في آيتي الحاقة والقارعة. وجاءت للإخبار في سورة الغاشيّة وجاءت على الحاليّة في سورة الفجر. والحالات التي تصفها هذه آلآيات كلّها مرتبطة بالآخرة.

وقد ناقش عديد المفسّرين هذه الحالات الأربع وبشكل خاص الحالة البلاغيّة العاليّة التي صيغ بها اللّفظ (راضيّة) في تركيبه مع موصوفه (عيشة)، في حالة وصفيّة يرتبط فيها الموصوف بصفته بعيدا عن التّعريف بالألف واللّام وبشكل مجازي غريب، فقدّمت لهذا التّركيب عالي البلاغة مجموعة من القراءات التّفسيريّة.

فالرّأي التّفسيري الأوّل، اشتغل بالبحث عن سبب مجيء هذا اللّفظ، على هذه الصّيغة؛ أي (راضِيّة/فاعلة). فقد رأى بعض المفسّرين المشتغلين بالجوانب اللّغويّة لألفاظ القرآن الكريم بأنّ سبب ذلك راجع إلى كونه منسوب إلى الرّضا قياسا مثلا على كلمات أخرى في اللّغة العربيّة، فإنّ النّسبة نسبتان نسبة بالحرف كمكي ومدني، ونسبة بالصّيغة كلابن وتامر بمعنى ذي لبن وذي تمر ويجوز أن يجعل الفعل لها وهو لصاحبها فيكون من قبيل الاسناد المجازي.[14]

وعلى ذكر الاسناد المجازي فقد أضاف بعض أهل التّفسير الذين يهتمّون بالجوانب البيانيّة للنّصوص القرآنيّة بأنّ هذه الحالة بالذّات يمكن قراءتها على المجاز مع احتماليّة قراءة (راضِيّة) بمعنى المفعول؛ أي (مرضيّة) على التّجوّز في الكلمة نفسها، على أن يكون الإسناد برأيهم مجازيا وهو حقيقة إلى صاحب العيشة. مع احتمال أن يكون في الكلام استعارة مكنيّة وتخييليه. حيث استعير الرّضا من صاحبه ليركّب على (عيشة).

وقد كان لاتّجاه تفسيري آخر[15] قول فيما تعلّق بالنّسب بالصّيغة وهو أنّ ما كان للنسب يؤول بذي كذا فلا يؤنّث لأنّه لم يجر على موصوف فألحق بالجوامد. فسقوط الهاء في عِيشَةٍ راضِيّة فيه وجهان، أحدهما أن تكون بمعنى أنها راضيّة أهلها فهي ملازمة لهم راضيّة بهم. والآخر أن تكون الهاء للمبالغة كعلامة ورواية ووجه بأن الهاء لزمت لئلا تسقط الياء فيخل بالبنيّة كناقة مشليّة وكلبة مجريّة وهم يقولون ظبيّة مطفل ومشدان وباب مفعل ومفعال لا يؤنّث. وقد أدخلوا الهاء في بعضه كمصكة.

ويواصل أصحاب هذا التّوجّه تحليلهم لسبب ظهور هذه الصّيغة بعد نقدهم للرّأي السّابق بالقول بأنّ (راضِيّة) هنا ليس من باب النّسب بل يحتمل كونه اسم فاعل أريد به لازم معناه لأنّ من شاء شيئا ورضي به لازمه فهو مجاز مرسل أو استعارة. ويجوز أن يراد أنّه مجاز في الإسناد وما ذكر بيان لمعناه الثّاني أنّ الهاء للمبالغة ولا تختصّ بفعال ولذا مثل برواية أيضًا، والثّالثّ أنّه يجوز إلحاق الهاء في المعتل لحفظ البنيّة ومصكّة إمّا شاذا ولتشبيه المضاعف بالمعتل.

وهنالك وجه آخر لتفسير تركيب عيشة على راضيّة، وهو ذلك التّفسير الذي أراد فيه أصحابه وصف الحالة بإرجاعها إلى الواقع، حيث أشار فيها أصحابها[16] إلى أنّ (عيشة رّاضيّة) المراد بها (عيشة مرضيّة لهم)، وهي قراءة

قدّمت بناء على ربطها بزمنين، زمن مرتبط باليوم فهم في عيشة راضيّة إذ كُفّوا مآربهم فدفع عن قلوبهم حوائجهم فليس لهم إرادة شيء، ولا تمسّهم حاجة. وهم غدا في عيشة راضيّة لأنّهم قد قضيت أوطارهم، وارتفعت مآربهم، وحصلت حاجاتهم. فهم بذلك في روح الرّضا بحسب قولهم. فنيل الرّضا يبعد صاحبه عن الحاجة والسّؤال.

وعن سبب مجيء لفظ (عيشة) غير معرّف بالألف واللّام ومن ثمّة تنكير صفته فمرده بحسب بعض المفسّرين إلى كونه يشير إلى عيشة هي نوع خاصّ من العيش. وهي برأيهم ذلك العيش المتعلّق بالآخرة.[17]

وقد ذهب صاحب كتاب التّحرير والتّنوير[18] في رأي جامع لما سبق إلى القول بأنّ العيشة هي حالة العيش وهيئته. ووصف عيشة براضيّة مجاز عقلي لملابسة العيشة حالة صاحبها وهو العائش ملابسة الصّفة لموصوفها. والرّاضي هو صاحب العيشة لا العيشة، لأنّ راضيّة اسم فاعل رَضِيت إذا حصل الرّضا وهو الفرح والغبطة. والعيشة ليست راضيّة ولكنّها لحسنا رضي صاحبها فوصفها براضيّة من إسناد الوصف إلى غير ما هو له وهو المبلغة لأنّه يدلّ على شدّة الرّضا بسببها حتّى سرى إليها.

ويمكن أن تضيف هذه الدّراسة احتماليّة مراعاة هذه الصّيغة لإيقاع السّورة بحكم وجود كلمات أخرى بالصّيغة نفسها تتردّد مع نهاية كلّ اية من هذه السّورة. فيمكن القول بأنّ إيقاع السّورة، إنّ صحّ قول ذلك، مبني على صيغة (فاعلة) (بالقارعة، بالطّاغيّة، عاتيّة، خاويّة، باقيّة، بالخاطئة، رّابيّة، واعيّة واحدة، الواقعة، واهيّة، ثمانيّة، خافيّة، كتابيه، حسابيّة، راضيّة، عاليّة، دانيّة الخاليّة ويستمرّ هذا الإيقاع إلى الآية 29 مع كلمة سلطانيّة).

ومن خلال كلّ ما سبق يمكن القول بأنّ الرّضا هو خالة متبادلة بين الله عزّ وجلّ الخالق وبين عبده فإذا رضي المرء بما أعطاه الله سبحانه وتعالى، فسوف يرضى الله عنه. وإذا لم يقبل بذلك فسخط الله عليه هو جزاؤه.

قائمة المصدر والمراجع:

❖ **القرآن الكريم برواية حفص.**[19]

1. ابن قيّم الجوزيّة، الدّاء والدّواء، تحقيق محمّد أجمل الإصلاحي، دار عالم المعرفة.

2. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزّمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل، دار الكتاب العربي بيروت الطّبعة الثّالثّة١٤٠٧ هـ

3. أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السّمعاني (ت٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن الرّياض السّعوديّة، الطّبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

4. أبو داود سليمان بن نجاح بن أبي القاسم (ت٤٩٦هـ)، مختصر التّبيين لهجاء التّنزيل، مجمع الملك فهد المدينة المنوّرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

5. أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ) كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السّامرائي دار ومكتبة الهلال.

6. أبو عبد الله محمد الرّازي الملقب بفخر الدّين الرّازي (ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث العربي بيروت الطّبعة الثّالثّة١٤٢٠ هـ.

7. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشّافعي (ت٥١٠هـ)، معالم التّنزيل في تفسير القرآن، المحقق: عبد الرّزاق المهدي، دار إحياء التّراث العربي بيروت الطّبعة الأولى١٤٢٠هـ.

8. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرّازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ) كتاب مقاييس اللّغة مادة (رضي) تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

9. إسماعيل حقي بن مصطفى أبو الفداء (ت١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر بيروت.

10. التّحرير والتّنوير «تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطّاهر بن محمد بن محمد الطّاهر بن عاشور التّونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدّار التّونسيّة للنشر تونس ١٩٨٤ هـ.

11. شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة بيروت الطّبعة الأولى١٤١٥هـ.

12. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصريّة العامة للكتاب مصر الطّبعة الثّالثّة.

13. عبد الواحد بن محمد بن علي ابن أبي السّداد الأموي المالقي (ت٧٠٥هـ)، الدّر النّثير والعذب النّمير في شرح مشكلات وحل مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدّاني (المتوفى٤٤٤هـ) تحقيق ودراسة: أحمد عبد الله أحمد المقرئ أصل التّحقيق: أطروحة دكتوراه للمحقق، دار الفنون جدة ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

14. محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، الأدب المفرد (باب من لم يسأل الله يغضب عليه)، المحقّق محمّد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السّلفيّة ومكتبتها القاهرة الطّبعة الثّانيّة١٣٧٩م.

الهوامش: ▪

[1] محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، الأدب المفرد (باب من لم يسأل الله يغضب عليه) المحقّق محمّد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السّلفيّة ومكتبتها القاهرة الطّبعة: الثّانيّة،١٣٧٩م ص 229.

[2] ابن قيّم الجوزيّة، الدّاء والدّواء، تحقيق محمّد أجمل الإصلاحي، دار عالم المعرفة ص30.

[3] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرّازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ كتاب مقاييس اللّغة مادة (رضي) تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر عام النّشر: ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م. ج2 ص402.

[4] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرّازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللّغة المحقق: عبد السّلام محمد هارون النّاشر: دار الفكر عام النّشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ج3 ص201.

[5] ينظر تفصيل ما قيل في تفسير هذه الآية: أبو عبد الله محمد الرّازي الملقب بفخر الدّين الرّازي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب _ التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث العربي بيروت الطّبعة: الثّالثّة ١٤٢٠ هـ، ج22 ص101.

[6] أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشّافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) معالم التّنزيل في تفسير القرآن_ تفسير البغوي، المحقق: عبد الرّزاق المهدي، دار إحياء التّراث العربي بيروت الطّبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ج4 ص227.

[7] أبو داود سليمان بن نجاح بن أبي القاسم (ت ٤٩٦هـ)، مختصر التّبيين لهجاء التّنزيل مجمع الملك فهد المدينة المنوّرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ج2 ص264.

[8] مفاتيح الغيب التّفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي الملقب بفخر الدّين الرّازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التّراث العربي بيروت، الطّبعة الثّالثّة ١٤٢٠هـ ج 30 ص569.

[9] عبد الواحد بن محمد بن علي ابن أبي السّداد الأموي المالقي (ت ٧٠٥هـ)، الدّر النّثير والعذب النّمير في شرح مشكلات وحل مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدّاني (المتوفى ٤٤٤هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد عبد الله أحمد المقرئ أصل التّحقيق: أطروحة دكتوراه للمحقق، دار الفنون جدة ١٤١١هـ -١٩٩٠م ج4 ص7، 151.

[10] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي الملقب بفخر الدّين الرّازي خطيب الرّي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث العربي بيروت الطّبعة: الثّالثّة -١٤٢٠ هـ ج7 ص164.

[11] فخر الدّين الرّازي خطيب الرّي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب ج7 ص164.

[12] أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السّمعاني (ت ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن الرّياض السّعوديّة، الطّبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ج2 ص319.

[13] أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السّامرائي النّاشر: دار ومكتبة الهلال. ج7ص372.

[14] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزّمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل، النّاشر: دار الكتاب العربي بيروت الطّبعة: الثّالثّة ١٤٠٧ هـ ج4 ص604. إسماعيل حقي بن مصطفى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، روح البيان، النّاشر: دار الفكر بيروت ج10 ص142.

[15] شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطيّة، النّاشر: دار الكتب العلميّة بيروت الطّبعة: الأولى ١٤١٥ هـ ج15 ص449.

[16] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب مصر الطّبعة: الثّالثّة ج3 ص626.

[17] شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطيّة، النّاشر: دار الكتب العلميّة بيروت الطّبعة: الأولى ١٤١٥ هـ ج15 ص449.

[18] التّحرير والتّنوير «تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد محمد الطّاهر بن محمد بن محمد الطّاهر بن عاشور التّونسي (ت:١٣٩٣هـ)، الدّار التّونسيّة للنشر تونس سنة النّشر ١٩٨٤ هـ ج29 ص132.